قرينة الربط الإحالي ودورها في اتساق وانسجام الحديث النبوي
"الأربعون النووية أنموذجا"

عادل رماش باحث في طور الدكتوراه
جامعة :محمد لمين دباغين سطيف"2"

الملخص :

يعالج هذا العمل، موضوع الروابط الإحالية ودورها في اتساق وانسجام أحاديث الأربعين النووية،وهي مقاربة في ضوء نظرية النحو الوظيفي ،بنموذجها "نحو الخطاب الوظيفي" ،مستندا فيه على المنهج الوصفي التحليلي ،بهدف الكشف عن الروابط الإحالية المتمثلة في التكرار ،وبيان دورها في ربط أوصال نصوص الحديث النبوي الشريف ،من خلال تحليل نماذج من نصوص أحاديث الأربعين النووية.

الكلمات المفتاحية: الروابط الإحالية،الاتساق،الانسجام،التكرار، الأربعون النووية،نحو الخطاب الوظيفي.

Résumé :

Ce travail traite le sujet des connecteurs référentiels et leur rôle dans la cohésion & la cohérence d' Al Arba'in An-Nawawia, c'est une approche textuelle réalisée à la lumière de la théorie de la grammaire fonctionnelle & en particulier sous son modèle-la grammaire fonctionnelle de discours- tout en s'appuyant sur la méthode descriptive, analytique et statistique et ce dans le but de déterminer les types de redondance lesquels se base Al Hadith Nabaoui Charif ainsi que le rôle que jouent ces connecteurs pour assurer sa cohésion & sa cohérence à travers le corpus d' Al Arba'in An-Nawawia.

Mots clés :

Les connecteurs, les connecteurs référentiels,lacohesion, la cohérence,, la grammaire fonctionnelle de discours, Al Arba'in An-Nawawia,le redondance

..

1- مفهوم التكرار:

أ – لغة: التكرار في اللغة: «الكَرُّ: الرجوع وكرّر الشيء وكركرهُ: أعادهُ مرة بعد أخرى... ويقال: كرَّرْتُ عليه الحديث وكركرتُه إذا ردَّدْتَه عليه.. والكَرُّ: الرجوع على الشيء ومنه التكرار والكرّة: البعث وتجديد الخلق بعد الفناء.. والكَرُّ: الحبل الغليظ..والكَرْكَرَةُ: صوت يُرَدِّدُهُ الإنسان في جوفه.. والكَرُّ: ما ضَمَّ ظَلِفَتَي الرحل وجَمَعَ بينَهُما... » [1]. إنّ الناظر في هذا البسط اللغوي لمفهوم التكرار في المعاجم العربية يدرك أهميته من خلال المعاني التي يدور حولها وهي كما يلي:

- **الرجوع:** وهذا المعنى يؤكد الدور الإحالي للتكرار بالرجوع إلى ما سبق ذكره بتكراره مرة أخرى في صورة شكلية أو دلالية.

- **البعث وتجديد الخلق بعد الفناء:** قد ينسى المتلقي ما قيل له من حديث وخاصة عندما يطول، وهنا يبرز دور الإحالة التكرارية في استحضار ما سبق ذكره، وإعادة تفعيله بتجديد بعثه بعد أن كاد ينساه المتلقي وهذه الإستراتيجية التواصلية تسهر على تماسك النص ،وترابط أجزائه، وتواشج جمله ،حتى يغدو لحمة واحدة بارتكاز المرسل على آلية التكرار القائمة على التجديد والبعث.

- **ضم ظلفتي الرحل:** تشير هذه العبارة إلى السبك والتماسك بين هاتين الظلفتين، وبالنظر إلى هذا الاسم المثنى نستنبط قيام التكرار على قطبين اثنين ؛أحدهما إشاري ،والثاني إحالي ما يؤكد مرة أخرى على الدور الإحالي الذي يقوم به التكرار[2]

وانطلاقا مما سبق عرضه، ننتهي إلى عد التكرار من أدوات التماسك الشكلي والدلالي في النصوص بصورة عامة وعاملا من عوامل الربط الإحالي فيها، وهذا التحديد سيكون مسوغا لي في دراسة التكرار بصورة تجعله من أدوات الاتساق والانسجام معا.

ب – اصطلاحا:

أمّا التكرار في الاصطلاح فـ"هو مصدر كَرَرَ إذا ردّد و أعاد؛هو تَفْعَال" بفتح الفاء وليس بقياس بخلاف التفعيل.

وقال الكوفيون: هو مصدر "فَعَّلَ" والألف عوضا من الياء في التفعيل. والأول مذهب سيبويه"[3]،فمصطلح (التَّكرار) هو "مصدر ثلاثي يفيد المبالغة كالتّرداد مصدر رَدَّ عند سيبويه، أو مصدر مزيد أصله (التكرير) قلبُ الياء إلى الألف عند الكوفة، ويجوز كسر التاء فإنه اسم من التِّكرار"[4]

يتجلى من خلال هذين النصين ،تمييز بين مصطلحين تباينت بنيتهما ودلالتهما الصرفية وأصلهما الاشتقاقي ؛و هي التَّكرار على وزن "تَفعال" ويجوز أيضا كسر التاء لتصبح البنية "تِكرار"، والمصطلح في كلتا البنيتين يفيد المبالغة،أما مصطلح "تكرير" فهو على وزن "تفعيل" قلبت فيه الألف ياء.

وأيًّا ما كان الأمر فالتكرار والتكرير مصطلحان مختلفان دلالة وبنية صرفية ،وأصلا اشتقاقيا ومعجميا ومتحدان من حيث الجوهر، إذ إنّ التكرار ينهض من حيث المبدأ كما يحده ابن الأثير (ت 636هـ) على "دلالة اللفظ على المعنى مُرَدِّدًا كقولك لمن تستدعيه: "أسرع أسرع" فإن المعنى مردّد واللفظ واحد"[5]

إنّ التكرار يتشكل بنيويا على المستوى اللفظي عبر أنماط وحدات لسانية مختلفة ،تمتد من تكرار الحرف ثم الكلمة إلى الجملة ،فالعبارة في مواضع أخرى غير الموضع الذي ذكرت فيه أول مرة، كما يتشكل دلاليا بإعادة ذكر المعاني في صور مختلفة من البنى اللسانية، وبذلك فالتكرار –كما يحده أحمد مطلوب–

يتمثل في أبسط مستوياته "بأن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه ،سواء أكان اللفظ متفقا في المعنى أم مختلفا، أو يأتي بمعنى ثم يعيده وهذا شرط اتفاق المعنى الأول والثاني، فإن كان متحد الألفاظ والمعاني فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر وتقريره في النفس وكذلك إذا كان المعنى متحدا ،وإن كان اللفظان متفقين والمعنى مختلفا فالفائدة بالإتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين"[6]

والتكرار من سمات الفصاحة، إذ يقول بدر الدين الزركشي(ت 794هـ): " وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة، ظناّ أنه لا فائدة له، وليس كذلك بل هو من محاسنها، لا سيما إذا تعلق بعضه ببعض"[7].

ويعتبر السيوطي (ت 911 هـ) التّكرار «أبلغ من التأكيد ، وهو من محاسن الفصاحة خلافًا لمن غلط ... وقد قيل الكلام إذا تكرّر تقرّر »[8]. وظاهرة التكرير كانت ديدن العرب في كلامها حيث ذكر أحمد بن فارس (ت395هـ) أنه من « سنن العرب التكرير والإعادة وإرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر كما قال الحارث بن عباد: (الخفيف)

قَرِّبَا مَربَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَفِحَت حَربُ وَائِلٍ عَن حِبَالِ

فكرّر قوله:" قربا مربط النعامة مني" في رؤوس أبيات كثيرة عناية بالأمر ، وأراد الإبلاغ في التنبيه والتحذير [9].

وتروي كتب الأدب" أنّ رجلا من أهل الشّام سأل هشامًا بن عبد الملك عن علي بن الحسين من هو؟،وكان في هيئة ونضارة ،فتجاهله هشام خشية أن يفتتن به أهل الشّام ،فقال الفرزدق: (البسيط)

هَذَا ابنُ خَيرِ عِبَادِ اللهِ كُلّهِمُ هَذَا التّقِيُّ النّقيُ الطّاهرُ العَلَمُ
هَذَا الَّذِي تَعرفُ البَطحَاءُ وَطأَتهُ وَالبَيتُ يَعرِفُهُ و الحِلُّ والحَرَمُ
إِذَا رَأَتهُ قُرِيشٌ قَالَ قَائِلُهَا إلى مَكَارِمِ هَذَا يَنتهِي الكَرَمُ
يَكَادُ يُمسكُهُ عِرفانُ رَاحتهِ رُكنُ الحَطِيمُ إِذَا مَا جَاءَ يَستَلِمُ
يُغضِي حَياءً ويُغضِي مِن مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلّمُ إلاَّ حِينَ يَبتسِمُ
أَينَ القَبائِلُ لَيست في رقابهمُ لأَوَّلِيَّةِ هَذَا أو لَهُ نَعَمُ
مَن يَعرِفِ اللهَ تَعرف أَوَّلِيّةَ ذَا فَالدّينُ مِن بَيتِ هَذَا نَالهُ الأُمَمُ

تكرر اسم الإشارة في هذه الأبيات ،...والأبيات محتفظة بقوتها وتأثيرها ...واسم الإشارة في كل موقع من مواقعه يميّز المشار إليه أكمل تمييز لتضاف إليه هذه الأوصاف العظام ،ويزيد الإشارة هما قوّة أنّ هشاما يتجاهله ،فكانّ الشاعر يعارض هذا التّجاهل بهذا الفيض من الإشارات التي تؤكّد ذيوع مناقبه ومعالم مآثره"[10]

من هنا يعد التّكرار ظاهر بلاغية لا يفطن إليها إلاّ من له تبصّر بفنون الكلام العربي ؛لأنه يضطلع بفاعلية إبلاغية وتداولية أثناء التواصل بين المتخاطبين ،بالإضافة إلى أغراضه التي تتعدد حسب مقتضيات السياقات والمواقف التي ترد فيها العناصر المكرر : كالتأكيد ،والاستلذاذ بالكلام ، وتعظيم الأمر و تهويله وزيادة التنبيه وطول الكلام ،الذي قد يسبب نسيانه ، وتعدد المتعلق.

ويرد التكرار بأنماط متعددة في مستويات مختلفة من آي القرآن الكريم الذي يعد في أعلى درجات الفصاحة؛ فهو ليس كلام عفويا أو من قبيل التلقائية ، ويتكشف لنا ذلك من خلال تأمل الآيات الآتية : نحو قوله تعالى:{ويُطافُ عليهم بآنية من فضّة وأكوابٍ كانت قواريرا (15) قواريرا من فضّة قدّروها تقديرا} (الإنسان 15-16)

كما تكرّر أية في سورة واحدة أكثر من مرة ؛ فقد تكررت آية :{فبأيّ آلاء ربكما تكذّبان} في سورة الرحمان واحدًا وثلاثين مرة ، وتكرر قوله :{وإنّ ربّك لهو العزيز الرّحيم}في سورة الشعراء ثمان مرات وتكرر قوله:{ويل يومئذٍ للمكذّبين} في سورة المرسلات عشر مرات .

هذا بالإضافة إلى تكررآية في أكثر من سورة نحو قوله {ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين}

إذ تكررت في ست سور وهي : (يونس 48)، (الأنبياء 38)، (النمل 71)، (سبا 29)، (يس 48)، (الملك 25).

فصور التكرار هذه وأنماطها تسهم في تعزيز الترابط فيما بين العناصر المتكررة وسياقها الأسلوبي الذي ترد فيه ،ناسجة خيوط التواصل المعنوي ،بالتركيز على جانب معين من العبارة أو المعنى ،والسهر على تناميه واستمراريته المطردة ،في كل بنية نصية صغرى أو سلسلة كلامية متتابعة الحلقات، وذلك بالإحالة إلى العنصر الإشاري المذكور أول الأمر في النص، وإعادة ذكره مرة أخرى في مقام الحاجة السياقية إليه ،مما يزيد النص تماسكا شكليا وانسجاما دلاليا ،إلى جانب استحضار العنصر الإشاري وتقليبه في صور مختلفة من العبارة ،فالعناصر المتكررة تسهم في تواشج جمل النص، فضلا عن منحها تتابعا شكليا وفاعلية دلالية.

وأيًّا ما كان الأمر فالعناصر المتكررة تكتسب في كل مرة معان جديدة إضافية إلى جانب كونها روابط إحالية شكلية ودلالية ،تعمل على تلاحم السلاسل الكلامية وتواشجها، وبالتالي فالتكرار عود على بدء وإحالة اللاحق على السابق المذكور (العنصر الإشاري) أول مرة في النص، وتعلق به بإحيائه، وإعادة بعثه وتجديد خلقه واستحضار لفظه ،إن كان لفظيا أو ما يؤدي في معناه ودوره الوظيفي في البنية اللسانية ،إن كان معنويا لتعزيز فاعليته.

ومن هنا أكّد ما رآه إبراهيم الفقي بأنّ التكرار هو "إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة وذلك باللفظ نفسه أو بالترادف وذلك لتحقيق أغراض كثيرة أهمها تحقيق التماسك النصي بين عناصر النص المتباعدة".(11)

2- إعادة اللفظ ذاتِه:

يعد تمام حسان الأصل "في الربط بصور الإحالة هو إعادة اللفظ بذاته"[12] وذلك لأن إعادة اللفظ بذاته "أدعى للتذكير وأقوى ضمانا للوصول إليه".[13]

كما أن إعادة المرجع بلفظه أقوى من إعادة ضميره عليه، لأن لفظه أقوى من الكناية عنه، وعدول العربية عن الربط بما هو أصل في الربط ،إلى الربط بغيره من صور الإحالة جاء نتيجة تطبيق مبدأ الاختصار الذي هو فرع على مبدأ طلب الخفة، كما أن الربط بإعادة اللفظ بذاته شأنه شأن ظواهر العربية الأخرى رهن أمن اللبس، فإذا لم يؤمن اللبس حال الربط بإعادة اللفظ بذاته، فإنّ العربية تعمد إلى الربط بغير إعادة اللفظ بذاته"[14]

ويقول ابن يعيش:" وإنما أُتي بالمضمرات كلها لضرب من الإيجاز واحترازا من الالباس، فأما الإيجاز فظاهر، لأنك تستغني بالحرف الواحد عن الاسم بالكامل، فيكون ذلك الحرف كجزء من الاسم، وأما الإلباس فلأنّ الأسماء الظاهرة كثيرة الاشتراك، فإذا قلت: زيد فعل زيد، جاز أن يتوهم في (زيد) الثاني أنه غير الأول وليس للأسماء الظاهرة أحوال تفترق بها إذا التبست، إنما يزيل الالتباس منها في كثير من أحوالها الصفات كقولك مررت بزيد الطويل والرجل البزاز ، والمضمرات لا لبس فيها، فاستغنت عن الصفات، لأن الأحوال المقترنة بها قد تغني عن الصفات، ، والأحوال المقترنة بها حضور المتكلم والمخاطب والمشاهدة لهما وتقدم ذكر الغائب الذي يصير بمنزلة الحاضر المشاهد في الحكم"[15]

يوضح ابن يعيش في هذا النص أن الحاجة إلى الضمائر- وهي وسيلة من وسائل الربط بالإحالة- في الربط كانت لعلتي الإيجاز وأمن اللبس والمثال الذي أتى به الشيخ (زيد فعل زيد) والتعليق الذي تبعه كان بيانا من ابن يعيش لكيفية وقوع اللبس ،حال الربط بإعادة اللفظ بذاته، وتوضيحا لأسباب امتناع حصول اللبس حال الربط بالضمائر و"أَفْهَمُ من تقديم ابن يعيش التمثيل والشرح للربط بإعادة اللفظ بذاته، وبيان أن الربط بغيره(بالضمير) ليس فيه من الإحالة واحتمال وقوع اللبس ما في الربط بإعادة اللفظ، أفهم من هذا أن الأصل كان تكرار اللفظ بذاته، لكنه لضرب من الإيجاز واحترازا من الإلباس يعدل عن هذا الأصل إلى الإتيان بالمضمرات"[16]

ويتبين لنا ذلك من خلال تكرار عبارة "المنافقين والمنافقات" بدلا من الإحالة على العنصر الإشاري المذكور في صدر الآية الكريمة، والتعويض عنه بالضمير باستبداله بعبارة "وعدهم" في قوله تعالى:{**المنافقون و المنافقات** بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسُوا الله فنسِيهم إنّ المنافقين هم الفاسقون(67) وعَد الله **المنافقين و المنافقات** و الكفّار نارَ جهنّمض خالدينَ فيها هي حسبهم ولَعنهُم الله ولهم عذاب مُقيم} التوبة(67-68) .

فالعبارة المكررة "المنافقون والمنافقات" تحيل إحالة قبلية إلى العنصر الإشاري الأول بحيث تسهر على استمراره وربط الكلام بأوله" وقد أفاد هذا الربط نوعا من الترديد الذي يراد منه التأكيد على صلابة

الموقف الأول، وتذكير المتلقي به"[17] قد ورد هذا النمط من التكرار في مدونتنا في سبعة أحاديث نورد منها ما يلي:

النموذج الأول:

عن عمرَ رضيَ الله عنهُ، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلّم يقول" **إنَّما** الأعمالُ بالنياتِ، و**إنَّما** لكلِّ امرئٍ ما نوى، فمن كانت **هجرتُهُ** إلى الله ورسولِه **فهجرتُهُ** إلى اللهِ ورسولِه ، ومن كانت **هجرتُهُ** لدنيا يصيبُهَا أو امرأةٍ ينكِحُهَا **فهجرَتُهُ** إلى مَا هاجَرَ إليهِ"[18] رواه البخاري ومسلم.

ففي هذا الحديث الشريف تكرر لفظ (إنما) للتوكيد وتكرّر لفظ (هجرته) أيضا للتوكيد، وتقرير المعنى في النفس وتثبيته في الصدور و "جدوى التأكيد أنك إذا كرت، فقد قرّرت المؤكد وما علق به في نفس السامع ومكّنته في قلبه وأمطت شبهة ربما خالجته أو توهّمت غفلة أو ذهابا عمّا أنت بصدده فأزلته"[19]

النموذج الثاني

عن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الحلال **بيّنٌ** وإن الحرام **بيّنٌ** وبينهما أمور **مشتبهات**، لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى **الشبهات** استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في **الشبهات** وقع في الحرام، كالرّاعي يرعى حول الحِمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل مِلك حمى ألا وإن حمى الله محارمُه، ألا وإنّ في **الجسد** مُضغة إذا صلحت صلح **الجسد** كلُه وإذا فسدت فسد **الجسد** كلُه، ألا وهي القلب"[20] رواه البخاري ومسلم.

في هذ الحديث الشريف تكرر لفظ (بيّن) ولفظ (الشبهات) و (الجسد) . فتكرير لفظ (بيّن) هنا "جاء لتأكيد النسبة وتحقيقها، لأنّه سبق ب إنّ ولذا فهي (إنّ) تذكر في مقام الشك وأتي بها لتنزيل السامع منزلة الشاك السائل هل هما بيّنان؟ ولكون خطابه صلى الله عليه وسلّم ليس قاصرا على غير الشّاك أي أنهما بيّنان بيانًا تامًّا، فلم تعرض لهما شبهة توجب خفاءهما حتى يتردد فيهما"[21]

وقد تكرّر لفظ (الشبهات) ولفظ (القلب) ثلاث مرات، مع إمكانية ورود الضمير الذي يغنينا عن تكرير الاسم وهذا لغرض الرّبط، حيث أتى اللفظ المكرّر في جملة يفصل بينها وبين الجملة التي أتى فيها اللفظ الأول (المرجع) جمل استوفت عناصر بنائها، ولِنتبيّن كيف ربط اللفظ المكرّر الجملة التي يدخلها بالمرجع (اللفظ الذي ذكر أولا) ففي قوله صلى الله عليه وسلم (فمن اتقى الشبهات،ومن وقع في الشبهات)، لنرى كيف أن لفظ الشبهات في الجملتين قد وضح —عن طريق تكراره– أنّ احتمال الوقوع في الحرام هو رهنٌ باجتناب الشبهات التي ذكرت أولا وليس غيرها، وهكذا رُبط اللفظ المكرّر الجُملَ التي كُرِّر فيها باللفظ الذي ذُكر أوّلاً (المرجع).

والكلام نفسه ينسحب على لفظ (الجسد)، ولبيان قيمة تكرار اللفظ —في الحديث الشريف– في ربط هذه الجمل التي يكرر فيها فلْنتصور الشاهدَ— من الناحية النحوية– ولم يتكرر فيه اللفظ (العائد) ولم

يُعوَّض عنه بالضمير عندئذ سنرى كلاماً ولا رابِط بينه ولا يَأخُذ بعضُه بسببٍ من بعضٍ، على عكس ما هو عليه الآن —مع تكرار اللفظ– من ترابطٍ وأَخذِ بعضِه بحجز بعضٍ.

النموذج الثالث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنَّ الله طيبٌ لا يقبلُ إلَّا طيباً وإنَّ الله تعالى أمَر المؤمنين بما أمرَ به المرسلين فقال:{يا أيّها الرّسل كلوا من الطيّبات واعملوا صالحا }، وقال :{يا أيّها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم } ،ثم ذكر الرّجلَ يطيلُ السفرَ: أشعثَ أغبرَ، يمدُّ يديهِ إلى السماءِ: يا ربِّ يا ربِّ، ومطعُمهُ **حرامٌ** ومشرَبهُ **حرامٌ**، وملبَسهُ **حرامٌ**، وغُذِّي **بالحرامِ**، فأنَّى يُستجابُ لهُ"[22] رواه مسلم.

ففي هذا الشاهد تكرر لفظ (حرام) أربع مرات، وفي كل مرة يحمل الوظيفة النحوية نفسها ألا وهي (الخبر) وهذا التكرير من النبي صلى الله عليه وسلم جاء لغرض التهويل ولفت الانتباه لخطورة الموقف فكلمات (مطعمه، مشربه، ملبسه، غذي) عناصر إشارية والعناصر الأخرى المكررة تحيل بدورها عليها، فهي عناصر إحالية وهذه التكرارات أسهمت في التواصل المعنوي للحديث الشريف وترابط أجزائه إذ إنّ تكرير (حرام) تأكيد لقوله (مطعمه، مشربه، ملبسه، غذي) كما توضحه الترسيمة التالية:

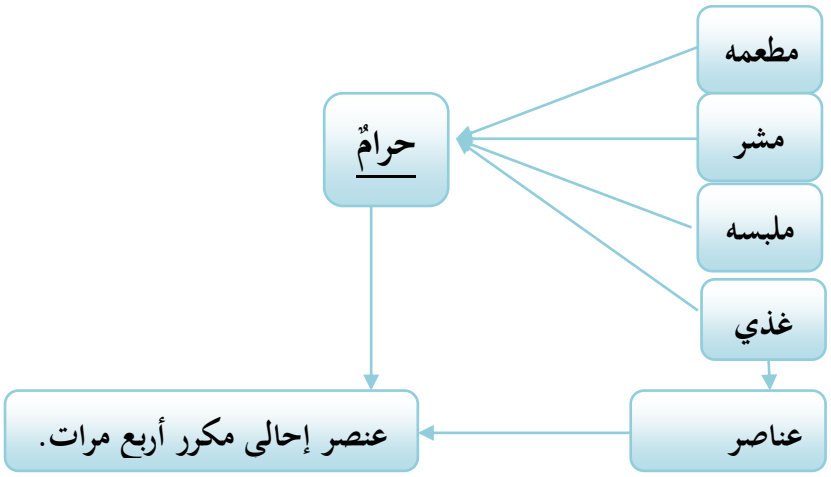

فهذه الأشكال التكرارية تقوم على علاقات لغوية ومعنوية تحكم كل قطب من قطبي الإحالة بما بعده وبما قبله،وإلى هذا يرجع انتظام المعاني واتصال الكلام ودلالته على الاستمرارية المعنوية في نص ما، وهذا ما يؤكد دور الترابط الإحالي الذي يضطلع به التكرار بحيث يعد الطرف الثاني منه عنصرا إحاليا يرتد تفسيره إلى العنصر الإشاري المذكور قبله.

ولهذا لا يمكن اعتبار التكرار حشوا لأنه أضاف معنىً جديدا يرتبط بالمعاني السابقة، مما يزيدها قرارا وثباتا وتناميا في ذهن المتلقي ،و "إنّ في هذا تخصيصا على الوظيفة المزدوجة التي يقوم بها التكرير، وهي الربط أولا والثانية الوظيفة التداولية المعبر عنها هنا بالاهتمام بالخطاب، أي لفت أسماع المتلقين إلى أن لهذا الكلام أهمية لا ينبغي إغفالها"[23]

النموذج الرابع:

عنْ أبي ذرٍّ رضي الله عنهُ–أيضا– أنَّ أُناسًا من أصحابِ رسولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلم قالوا للنّبي صلّى الله عليهِ وآله و سلم: يَا رسولَ اللهِ، ذهبَ أهلُ الدُّثورِ بالأُجورِ، يُصَلّونَ كمَا نُصلِّي، ويَصومونَ كمَا نَصومُ، ويَتَصَدّقون بِفضولِ أموالِهم، قالَ: " أَوليسَ قد جَعلَ اللهُ لكُم مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إنَّ بكُلِّ تسبيحةٍ **صدقةً** وكُلِّ تكبيرةٍ **صدقةً**، وكُلِّ تحميدةٍ **صدقةً** وكُلِّ تهليلةٍ **صدقةً**، وأَمرٌ بالمعروفِ **صدقةٌ**، ونَهيٌ عن المنكرِ**صدقةٌ** وفي بُضعِ أحدِكُم **صدقةٌ**" قالوا : يا رسولَ اللهِ أيأتي أَحدُنَا شَهوَتَهُ ويكونُ لهُ فيها أجرٌ؟ قال: " أَرأيتُم لو وضَعَهَا في الحرَامِ، أكان عليه وزرٌ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلالِ كانَ له فيها أجرٌ"[24] رواه مسلم.

ففي هذا الحديث الشريف تكرر لفظ (صدقة) سبع مرات وهذا اللفظ هو بمثابة عنصر إحالي لعناصر إشارية سابقة عليه، فتكرير لفظ (صدقة) أدى إلى تحقيق التماسك النصي، وذلك عن طريق امتداده من بداية الحديث حتى آخره فهو بمثابة العنصر العام الذي تندرج فيه كل الجزيئيات والتفاصيل السابقة عليه، ويتبين لنا أن كلمة (صدقة) امتصت دلالات العناصر الإشارية السابقة عليها، ويمكن لنا توضيح ذلك بالشكل التالي:

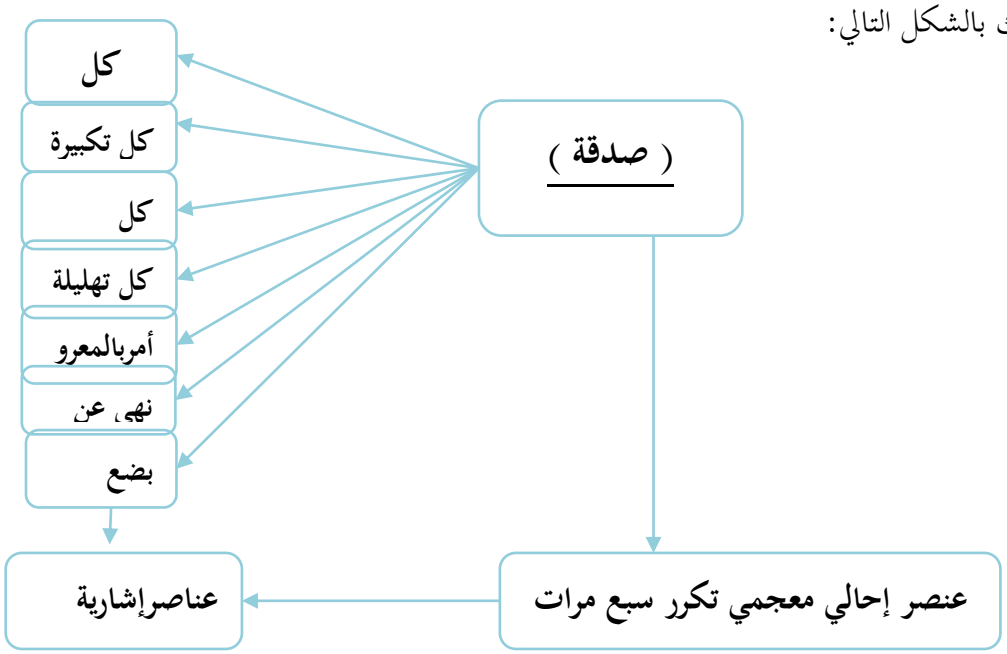

إنّ الناظر في هذا الشكل يتكشّف له أن العنصر الإحالي المكرّر يحتوي على دلالات العناصر الإشارية السابقة عليه، وهي بدورها تحتويه بصورة ضمنية، فكلمة (صدقة) لفظ عام تندرج تحته كل الأعمال التي يقوم بها المؤمن لنيل رضى الله عز وجل، ويكسب الأجر الجزيل، بحيث يغني كل الدلالات السابقة عليه والمتضمنة في العناصر الإشارية بالإحالة إليها إحالة قبلية إلى جانب ربط ذلك كله بما يليه من الكلام.

النموذج الخامس:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه و آله و سلم: " كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النّاسِ عَلَيهِ **صدقةٌ**، كُلَّ يومٍ تطلُعُ فيهِ الشَّمسُ تعدِلُ بَينَ اثنينِ **صَدقةٌ**، وتُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَتَحمِلُهُ عَلَيهَا، أَو تَرفَعُ لَهُ عَليهَا مَتاعَهُ **صَدَقَةٌ**، والكَلِمةُ الطَّيبةُ **صَدقةٌ**، وبِكُلِّ خُطوةٍ تَمشِيهَا إِلَى الصّلاَةِ **صَدقَةٌ**، وتُمِيطُ الأَذى عَنِ الطَّرِيقِ **صَدَقَةٌ**"[25] رواه البخاري و مسلم

في هذا الحديث الشريف تكرّر لفظ (صدقة) ست مرات، ولكن على عكس ما ورد في الحديث السابق، حيث أنّ كلمة (صدقة) الأولى تعد بمثابة (المرجع) الذي تُفسّر في ضوئه بقية العناصر الإحالية المكررة، ويمكن لنا توضيح ذلك بالشكل التالي:

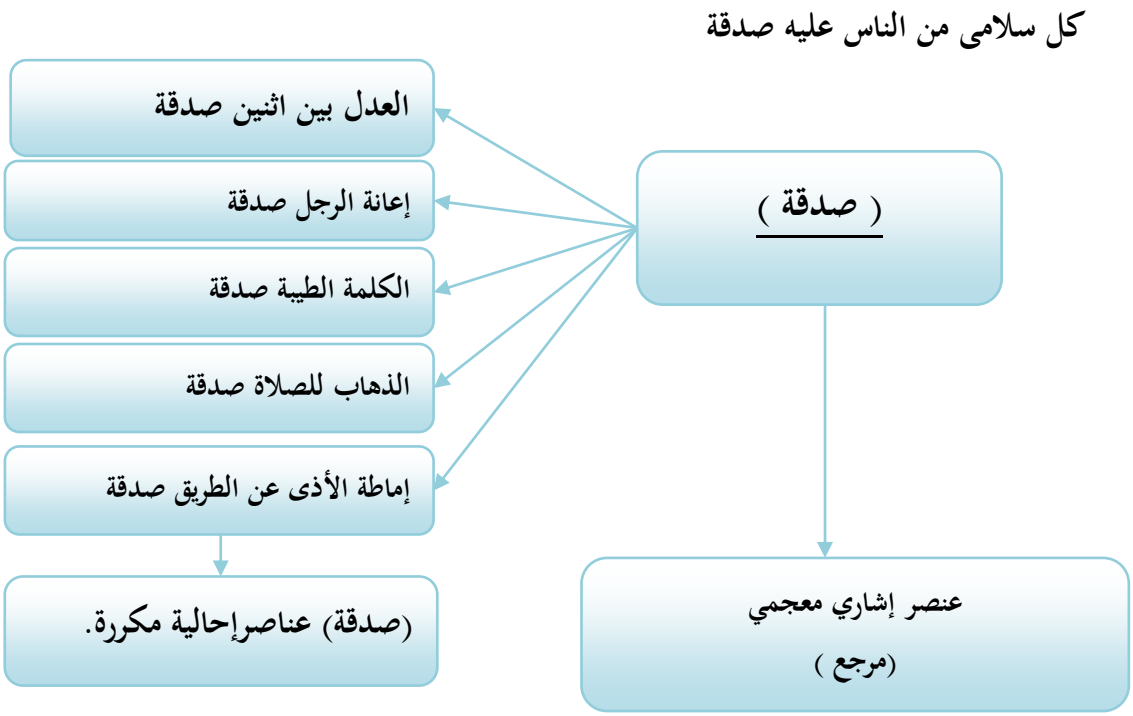

الناظر في هذا الشكل يتكشّف له، أنّ العنصر الإحالي المكرّر (صدقة) يفسر ما قبله ويحيل إليه إحالة بعديه فكل سلامى (أعضاء الجسم) أو (عظام الجسم) لفظ مجمل ،فيأتي تفصيله وبيانه من خلال العناصر الإحالية التي جاءت بعده ،وهي العدل بين اثنين وإعانة الرجل ورفع متاع الرجل والكلمة الطيبة والمشي للصلاة وإماطة الأذى

فكلُّها أعمال يقوم بها الإنسان باستعمال جوارحه وأعضاء جسمه، فالتّكرير هنا جاء لبيان وتفصيل ما أجمل في بداية الحديث.

وهكذا فالإحالة التّكرارية ظاهرة دلالية وليست شكيلة فحسب، ففي إطار السياق النصي تتحكم بتحديد المعنى المعين إلى جانب المعاني التي تتقاطع في عنصر إشاري واحد، وبذلك "فالتكرار أو الترديد يمثل تعدُّدا في البنية التركيبية ولكنه لا يغير شيئا من البنية الإحالية في النص لأنه بنية عابرة للتركيب (Trans- syntaxique) تقوم في الأساس على المدلول فهي توافق البنية التركيبية في الغالب، ويمكن أن تخرج عنها عند توفر شروط الترديد القائم على الترادف"[26]

فالعناصر الإحالية المكررة تسهر على الاطراد المستمر للعناصر الإشارية التي ترتبط بها، وتحيل إليها بحيث يكون العنصر الإشاري الواحد بمثابة نقطة التقاطع، أو **بؤرة** مركزية تفسر في ضوئها العناصر الإحالية المكررة وتحدد دلالتها، وبالتالي تشد من خلال موقعها البنى النصية إلى بعضها.

3- إعادة صدر الكلام:

النمط الثاني من أنماط التّكرار هي إعادة أو تكرار صدر الكلام أو الجمل بغرض الرّبط، وقد أشار إلى هذا النمط من الربط الإحالي تمام حسان بقوله في هذا الصدد: " وهناك نوع آخر من الربط يقع في النص ،له شبه بما سبق الكلام فيه ،من إعادة اللفظ وهوما يعرف بالتّكرار أو إعادة ذكر صدر الكلام، بعد أن حال بينه وبين ما يتعلق به فاصل طويل من الكلام ،جعله مظنة النسيان أو ضعف العلاقة بما يتبعه من خبر أو فاعل أو جواب، فإذا أُعيد صدر الكلام إلى الذاكرة اتّضحت العلاقة بما يليه وينتمي إليه. [27]" و "الغرض من إعادة صدر الكلام هو إظهار وبيان أنّ ما بعد هذا الجزء المعاد أو ما يقع في حيزه هذا الجُزء المعاد يرتبط ويتصل بصدر الكلام بعلاقة تجمع بينهما بعد طول فاصل بين صدر الكلام وما يرتبط به ". [28]

ومن شواهد هذا التّكرار في القرآن الكريم قوله تعالى:{و**لمّا جاءهم** كتاب من عند الله مصدّقٌ لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا **فلمّا جاءهم** ما عرفوا كفروا به فلعنةُ الله على الكافرين }البقرة(89). ويُعلِّق تمام حسان على التّكرار الوارد في هذه الآية الكريمة بقوله:" حين طال الفاصل بين "لما جاءهم" وجوابها تكررت لتقوية الارتباط بالجواب"[29]

وقد ورد هذا النمط من التّكرار في مدونتنا في ستةِ أحاديثَ نذكر منها:

النموذج الأول:

عن عُمرَ رضِي الله عنهُ، قَال: سَمعتُ رَسولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَليهِ و سَلّمَ يَقُولُ" إنَّمَا الأَعمالُ بالنِّيّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ **هِجرَتُهُ إِلَى اللهِ ورَسُولِهِ فَهِجرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ** ، وَمَن كَانَت هِجرَتُهُ لِدُنيَا يُصِيبُهَا أَو امرَأَةٍ يَنكِحُهَا فَهِجرتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِليهِ"[30] رواه البخاري ومسلم.

ففي هذا الشاهد يتكرّر صدر الكلام وهو جملة الشرط، وجاء جوابها في صورة جملة الشرط نفسها فتكرّر الشرط في شكل جواب له، فوقوع جملة (فهجرته إلى الله ورسوله) جملة إسمية في موضع جزم فعل جواب الشرط، وهي تسد مسد خبر (مَنْ) لأنّ تمام الجملة الإسمية بها، و لا تعارض في أن يكون في موضع رفع الخبر، حيث إنّ الخبر إذا كان فعلاً مجزومًا لا يتمانع مع كون الجملة في محل رفع الخبر،نحو:المجتهدُ لم يفشلْ فالفعل المجزوم مع فاعله جملة والجملة في محل رفع خبر،ويجوز أن تعرب (من) اسما موصولا مبنيا في محل رفع مبتدأ، لأن فعل الشرط وجوابه ماضيان لا يظهر فيهما الجزم وتكون جملة (كانت هجرته) صلة للموصول لا محل لها من الإعراب، وجملة (فهجرته إلى الله ورسوله) خبرا للمبتدأ."[31]

ونلاحظ من خلال هذا البسط أن المرجع وهو جملة صلة الموصول (من) يربط المبتدأ وهو اسم الموصول (من) بخبره وهو الجملة الإسمية (فهجرته إلى الله ورسوله)، وهي العائد.

وسنوضح ذلك من خلال الترسيمة التالية:

(من)كانت هجرته إلى الله و رسوله فهجرته إلى الله ورسوله.

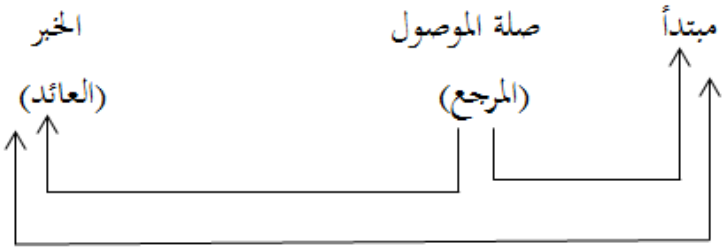

ويمكن أن نشرح ذلك بما يلي:

الجملة الاسمية المكرّرة (فهجرته إلى الله ورسوله) هي العائد رُبطت بالمبتدأ (من) بواسطة (المرجع) الذي هو جملة صلة الموصول (كانت هجرته إلى الله ورسوله) وإذا لم يُكَرّر (المرجع) في شكل جملة واقعة خبرا تكون عائدا ولم يعوض عنه بضمير ،فإنّ الكلام لن يستقيم لعدم وجود الرابط الذي يجعل الكلام بعضه بسبب من بعض.

ومن خلال هذا الشاهد أيضا يمكننا القول بأن صدر الكلام المعاد في الحديث كان وسيلة لفظية تصل بين ما يليه مما له علاقة بصدر الكلام، وبين صدر الكلام بحيث إنّ " صدر الكلام الذي يذكر أوّلاً هو مرجعٌ لصدر الكلام المكرّر ويكون صدرُ الكلام المكرّر عائدا إلى هذا المرجع، ويكون ما يعاد صدر الكلام من أجل توضيح صلته بصدر الكلام المذكور أولاً هو المرتبط الذي يربِطهُ العائدُ بالمرجع"[32].

النموذج الثاني:

عَن أَبي هُريرةَ رَضِي اللهُ عَنهُ عَن رَسولِ الله صَلّى الله عَليهِ وآله وَسلّم قَالَ:" **مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ واليّومِ الآخِرِ**، فَليقُلْ خَيرًا أو لِيصمُتَ، وَ**مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ واليّومِ الآخِرِ** ، فَليكُرِمْ جَارَهُ، وَ**مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ** فَلْيُكرِمْ ضَيفَهُ" [33]رواه البخاري ومسلم.

الشاهد من هذا الحديث هو تكرير صدر الكلام وهو الجملة الاسمية (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) ؛حيث تكرر ثلاث مرات ،في شكل جملة شرطية ،جاء جواب كلٍّ منها جملا فعلية ؛فعلها فعل أمر مقترن بالفاء سدت مسد الخبر.

وقوله صلى الله عليه وسلم " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر: التقدير من كان آمنَ، إلاّ أنّه عدل إلى المضارع قصدا، لاستمرار الإيمان وتجدده بتجدد أمثاله وقفًا فوقفًا، والمراد، من كان يؤمن إيمانا كاملا، نظير ما مرّ فالمتوقف عن الامتثال للأوامر الثلاثة كمالُ الإيمان لا حقيقتُه، أو هو محمول على المبالغة، أي تحصيلها وكُرِّر هذا الشرط ثلاث مرات للاهتمام والاعتناء بكل خصلة مستقلة، وتخصيص اليوم الآخر دون شيء من مكملات الإيمان بالله لأن رجاء الثواب وخشية العقاب راجعان إلى الإيمان باليوم الآخر، فمن لا يعتقده قلّما يرتدع عن شر و يقدم على خير ، فيكون له دخل في امتثال الأوامر الثلاثة".[34]والترسيمة التالية توضح ذلك:

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر

(جملة الشرط صدر الكلام مكررة ثلاث مرات). (جواب الشرط).

فليقل خيرا أو ليصمت.

فليكرم جاره.

فليكرم ضيفه.

كان يمكن الاستغناء عن تكرير الشرط والاكتفاء بإيراد جوابه فقط لكنه صلى الله عليه وسلم عدل عن ذلك وكرّر صدر الكلام لغرض الاهتمام والاعتناء بكل خصلة من الخصال المذكورة في جواب الشرط لما لذلك من الأهمية الكبيرة.

النموذج الثالث:

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدّثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: " إنّ أَحدكُم يُجمعُ خَلقُهُ في بَطنِ أُمِّهِ أَربعينَ يَومًا نُطفةً، ثُمّ يَكُونُ عَلَقةً **مِثلُ ذَلِكَ**، ثم يَكونُ مُضغَةً **مِثلُ ذَلكَ**، ثُمَّ يُرسَلُ إِليهِ الملكُ، فَينفُخُ فيهِ الرُّوحَ، ويُؤمَرُ بِأربَعِ كَلِماتٍ: بِكَتبِ رِزقِهِ وَأَجلهِ وعَملِهِ وشَقِيٌّ أو سَعيدٌ، فو الَّذِي لاَ إِلهَ غَيرُهُ، **إِنَّ أَحدَكُم** لَيعملُ بِعملِ أَهلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَينَهُ وَبَينَهَا إِلاَّ ذِراعٌ فَيسبِقَ عَليهِ الكِتابُ **فَيعملَ بِعملِ** أَهلِ النَّارِ فَيدخُلهَا، وَ**إِنَّ أَحدَكُم** لَيعمَلُ بِعمَلِ أَهلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَينهُ وبَينهَا إِلاَّ ذِراعٌ فَيسبِقَ عَليهِ الكِتابُ، **فَيعمل بعملِ** أهلِ الجنّةِ فَيدخُلَهَا." [35] رواه البخاري ومسلم.

ففي هذا الحديث نلحظ تكرر مجموعة من الجمل بداية بجملة(مثل ذلك) وهي تفيد التشبيه حيث اتحد ظرف الزمان (مثل) مع اسم الإشارة (ذلك) لبيان المدة الزمنية ولتقريب الصورة عن طريق التشبيه. وتكرّرت أيضا جملة (إن أحدكم) هذه الجملة الإسمية المتضمنة الناس (أن) واسمها (أحدكم) وخبرها وهو جملة (ليعمل).

فالمبتدأ هنا أعيد بلفظه (أحدكم) وأعيد معه الناسخ وجملة الخبر ويذكر ابن هشام الأنصاري(ت 761هـ) تحت عنوان "روابط الجملة بما هي خبر عنه" دور التكرار في الإحالة و الرّبط بين عناصر الجملة ،ومن ثمّ جمل النّص ومن بين أنماط التكرار عنده ما يلي:

أولا: إعادة المبتدأ بلفظه، وأكثر وقوع ذلك في مقام التهويل والتعظيم كقوله تعالى: " وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين"،[36] والملاحظ أن تكرار صدر الكلام في الشاهد مع عدم طول الفاصل بينه وبين ما يتعلق به هو تأكيد مضمون الكلام الذي يقع في حيزه المعاد من صدر الكلام.

ونخلص مما سبق عرضه في هذا المبحث إلى أن التّكرار ذو وظيفة تداولية تقوي الإعلامية؛ بإثارة التوقع لدى السامع للموقف الجديد وتعزيز مقصدية المتكلم، فهو استراتيجية تواصلية وحِجاجيّة وليس حكرًا على الكلام العفوي المرتجل، إذ يؤتى به لأداء أغراض تداولية: كالتأكيد وتعظيم الأمر وتهويله، وزيادة التنبيه والتذكير إذا ما طال الكلام خشية تناسي الأول....الخ

كما يؤدي التكرار بمختلف أشكاله أغراضا: نحوية ودلالية وتداولية على اعتبار أن النص يفرض وجودا معينا ومحددا للتكرار، والنص يسهم في توجيه تأثيره وأدائه ،بالقدر الذي يجعل منه كيانا فنيا لنظام تكراري معين يرمي إلى محاججة المتلقي وإقناعه بترسيخ الرسالة في ذاكرته الدلالية فضلا عن الدور الحاسم الذي يلعبه في هندسة المفردات وإيقاعها مسهما في ذلك في تجانس النص وتلاحم أجزائه.

وقد كان مجموع التكرارات في الأربعين النووية على النحو التالي:

رقم	اللفظ المكرر	عدد	رقم الحديث	الجملة المكررة	ع. التكرارات

الحديث		التكرارات			
01	إنما	02	01	فمن كانت هجرته	03
	هجرته	02			
02	شديد	02	04	ثم يكون	02
				مثل ذلك	02
				إن أحدكم ليعمل	02
				فيعمل بعمل	02
06	بين	02	15	من كان يؤمن بالله واليوم	3
	الشبهات	02		الآخر	
	الجسد	03			
10	حرام	04	24	يا عبادي	10
19	الله	06			
25	صدقة	07			
26	صدقة	06			

فمجموع التكرارات في نصوص الأربعين النووية–كما هو مبيّن في الجدول أعلاه– ستةٌ وثلاثون تكرارا للفظ المفرد وأربع وعشرون تكرارا جمليا، وأظهر عملنا الإحصائي لنسب هذه التكرارات مدى تركيز أحاديث الأربعين النووية على استعمال تكرار اللفظ المفرد، غير أننا نلمح وجود أكبر عدد تكراري في جملة "يا عبادي" أي عشر تكرارات وهذا فيه من الدلالة ما فيه كون الله عز وجل في حديثه القدسي يُذَكِّرُ عبده بأنه عبد لله وأنّ الله يحب عبده وسعادة الله لا توصف بعودة عبده إليه ودعوته له وتقربه منه وأنّه عز و جل قريب من عبده،وهذا من "كمال جوده وإحسانه إلى عباده ومحبته لنفعهم ودفع الضر عنهم، فهو يحب من عباده أن يعرفوه ويحبوه ويخافوه ويتقوه ويطيعوه ويتقربوا إليه ويجب أن يعلموا أنّه لا يغفر الذنوب غيره"[37]

نسب التكرار في الأربعين النووية

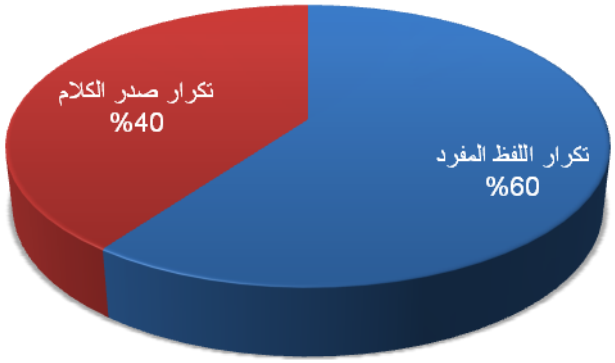

الهوامش و الإحالات:

(1) - ابن منظور: لسان العرب، ج12، مادة (كرر)، ص 65 وما بعدها، ينظر: اسماعيل بن جراد، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد بن الغفار عطار، دار العلم للملايين، بيروت،ط2، 1997، مادة (كرر)، ص 803-804 وينظر القاموس المحيط، مادة (كرر)، ص 603-604.

(2)- ابراهيم الفقي: علم اللغة النصي، بين النظرية والتطبيق، ج2، ص 18.

(3)- الزركشي:البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 8-9.

(4)- أبو البقاء الكفوي: الكليات، أعده للطبع عدنان درويش، محمد العمري، مؤسسة الرسالة ،بيروت، ط2، 1998، ج3، ص 297

(5)- ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق د.أحمدالحوفي ود: أحمد طبانة، دار النهضة، للطباعة والنشر، دط،مصردت، ج3، ص 3.

(6)- أحمد مطلوب: معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ط1، 1989، ج1، ص 370

(7)- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 9.

(8)- السيوطي: الاتقان في علوم القران ، ج3، ص199.

(9)- ابوا الحسن احمد بن فارس :الصاحبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها ، علق عليه ووضع حواشيه احمد حسن بسج ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1998، ص125، وينظر : السيوطي ، المزهر في علم اللغة وانواعها ، شرحه وضبطه وصححه وعلق عليه محمد احمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت ، دط ، ج1، ص332.

(10)- محمد محمد أبو موسى: خصائص التراكيب –دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني- ،مكتبة وهبة،القاهرة،مصر،ط6،2006،ص201-202.

(11)- ابراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج2، ص 20

(12)- ينظر:تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ج1، ص 128، 145،141،اللغة العربية معناها ومبناها ص 216.

(13)- المرجع نفسه، ج1، ص 128.

(14)- حسين رفعت حسين: الموقعية في النحو العربي، ، ص 205.

(15)- ابن يعيش: شرح المفصل، ج2، ص 21

(16)- حسين رفعت حسين:المرجع السابق، ص 206.

(17)- الأزهر الزناد: نسيج النص، ص 50

(18)- يحي بن شرف النووي (ت676هـ): الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، دار الإمام مالك للكتاب ،الجزائر، ط 2، 2012،ص 03.

(19)- الزمخشري، المفصل، ص 146.

(20)- الأربعون النوويّة:ص 11

(21)- حسين عبد الجليل يوسف: إعراب الأربعين حديثا النووية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،القاهرة، ط 2، 2008، ص 66.

(22)- الأربعون النووية: ص 15.

(23)- محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 179.

(24)- الأربعون النووية:ص 32.

(25)- الأربعون النووية، ص 33.

(26)- الأزهر الزناد: نسيج النص، ص 137.

(27)- تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ج1، ص 132.

(28)- حسين رفعت حسين: الموقعية في النحو العربي، ص 218.

(29)- تمام حسان: البيان في روائع القرآن ، ج1، ص 132.

(30)- الأربعون النووية:ص 31.

(31)- حسني عبد الجليل يوسف: إعراب الأربعين حديثا النووية، ص 16-17.

(32)- حسين رفعت حسين: الموقعية في النحو العربي، ص 221.

(33)- الأربعون النووية: ص 20.

(34)- حسني عبد الجليل يوسف: إعراب الأربعين حديثا النووية، ص 111.

(35)- الأربعون النووية: ص 8.

(36)- ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج2، ص 153-154.

(37)-أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي: جامع العلوم والحكم، دار الفكر ، بيروت، لبنان،دط ، 2000، ص 236.